تجميل الريف المصرى

مقارنة بين القرية الأجنبية والمصرية

١ — القرية الأجنبية :

سنحت لى الفرصة عام ١٩٣٤ بزيارة بعض القرى السورية والفرنسية فكان أول منظر استلفت نظرى هو أن الوصول إلى هذه القرى لا يكلف عناء أو مشقة فهناك شبكة من المواصلات بالسكك الحديدية و بالطرق الزراعية الممهدة المرصوفة والقطار والسيارة والعجلة جميعها فى خدمة الزائر ولقد زرت فى يوم واحد خمس قرى تبعد كل واحدة منها عن الأخرى نحو الستين ميلا بل وأكثر ، ومما يسر النفس أنه بكل قرية منها قوم يأتزرون بثياب الريف الفضفاضة هناك نساء فى خفر وحياء وعمل دائب يشترك فيه أعضاء الأسرة جميعها فاذا أصبح الصباح نهضت الفلاحة تعد الطعام للأسرة من لبن وقريدة و بطاطس وخبز وزبدة و يتناول الكل طعام الصباح فى وقت واحد على مائدة واحدة ثم يذهب كل إلى عمله فالرجل إلى حقله والولد إلى عمله والبنت الى ترقيها الشريف والزوجة ترعى مملكتها وكل شئ بنظام بالبقر مزايد لا تجبر السباكر وليكنها غير بعيدة عنها وللحياج أكوام يعدانها من شبالى السلك وأرضها تكنس وترش بالماء كل يوم و يبذل للدواجن من العناية الصحية بالغذاء والماء والتهوية مالو بذل فى العناية بأبناء الفلاحين لانحسر الريف بالأصحاء الأقوياء الخالين من العاهات والأمراض .

(مشاهدة بقرية اريحا بالشام) : واذكر أن جميع القرى الأجنبية بها مايع للماء النقى القراح أما أفراد الأسرة فان الحكومة الحامية تسهر عليهم وترعاهم وماعلى الأم إلا أن تودع أطفالها فى روضة الأطفال الملحقة بمكاتب القرية وهناك يجد الأطفال معلمة بل أما شفيقة ترعاهم وتحنو عليهم وتغذيهم إذا جاعوا وتكفكف دموعهم إذا بكوا وتلقنهم مبادئ التربية والتعليم ومحبة الله ومحبة وطنهم ومحبة المدرسة فاذا فرغت الأم من عمل اليوم سعت الى أطفالها لتعود بهم إلى دارهم غانمين كاسبين ومما هو حرى بالذكر أن نظام القرى الأجنبية يجعل العقبات أمام المنتجين ممهدة فالمحصول إذا نضج يسهل تصريفه إذ الأسعار واحدة فى جميع القرى والفلاح أمام شركات التعاون وشركات الغذاء لا يتباع منتجاته بجملة فأحرى بأسرة الريف الأجنبى بالسعادة .

٢ — القرية المصرية :

الان ونحن فى قرية مصرية وفى مصر تختص السكك الحديدية بالمدن دون القرى فلا تركب سيارة ولكن الطرق الزراعية مملوءة بالحصباء وأكثرها غير ممهد بل والطرق الزراعية الرئيسية عندما تلاصق قنوات الماء فتهبط سريعا بضغط المرور فى معظم العام وما فى كل مره تسلم السيارة لهذا كان اعمار السيارات فى القرى قصيرة . الآن نحن على أول دروب القرية فليهبط الركب حتى يعالج السائق ايلاج السيارة فى فوهة الدرب أو الحارة . والقرى المصرية محرومة من نعمة الطرق والشوارع الصالحة لمرور السيارات والمركبات وحسب ابن آدم أن يمر على دابة . أما حشر الجمل ووقوعه بما حمل فى أزقة الريف فحادث مألوف كل يوم . الآن نحن على عتبة دار الفلاح فإذا قصدت الدخول فالغالب أنك تهبط عن مستوى الطريق ولا تحاول وصف داخل منزل الفلاح ولكنا نصف حياة أفراد أسرته فأول المبكرين فى الاستيقاظ الزوجة حيث تحمل جرتها وتنشط إلى النهر والقناة مرة أو مرات وفق الحاجة . ثم يستيقظ الرجل ليكرع أقداح القهوة السادة ويتمل نفسه ويقصد حقله وكل ذلك قبل شروق الشمس أما أولاده فاذا طلعت الشمس طلوعا بدأوا مقددا فى خرقة وأقاموا الجاموس والماشية إلى المرعى فإذا كان الظهر اعدت المرأة وعاءها بصيدة أو جبن وبصل ومخلل أو خضار من مخلفات العشاء فاذا أقبل الكل الف أفراد الأسرة حول (طبلية) ليأكلوا مما طبخ بالعسل أو الدسم . فحالما تتخلف الزوجة عن تناول الطعام حتى تأمن شبع الزوج والعيال وحسبها بعد ذلك بقيات أو فتات تفضل عن زوجها وأولادها . فاذا هى الماشية عطشى فليبحث لها عن ماء رائق من عين أو ساقية أو (طلمبة) واذا هى أفراد الأسرة عطاش فليشربوا من ماء الترع والقنوات حيث يختلط طين وقدر وجراثيم واذا هى الطير والدجاج وسائر الدواجن فى عقر الوخ وأمامها قصعة أو صحاف للماء الآسن شربا لها وللقدر والبعوض والقاش نصف العذاء . واذا هم أفراد الأسرة وحيواتهم وطيرهم بين أربعة جدران طوال الليل .

٣ — رجل القرية المصرية يقص على حالته :

سنحت لى الفرصة بضعة أيام فى زيارات للقرى المجاورة لمدينة فشاهدت الفلاح المسكين وقد ارتدى ثوبه الفضفاض الأزرق وحزم وسطه بحبل ليقى لكى يقوى ظهره وأمسك بفأسه وشمر عن ساعديه وأخذ يعزق الأرض ليهيئها للزراعة وقد تصبب العرق من جبينه وحل به التعب من كثرة العمل تحت الشمس المحرقة وذلك الحر اللافح الذى ينهك القوى ويضعف الأبدان . اقتربت من أحد الفلاحين وسألته عن حاله فقال إنى أشبه بذلك الطائر

الذى يبكر فى صباح كل يوم لتحصيل قوته وجلب رزقه والناس نيام اهجر مرقدى وأنا فى لذيذ نومى لايثنى عزمى زمهرير البرد ولا هجير القيظ وقد وهبنى الله قوة الصبر على هذا العمل الشاق والجلد فيما يعترينى من صعاب الحياة أحب النشاط فى العمل ولا أعرف التأنق والكسل . أمشى فى مزرعتى حافى القدمين وها أنت ترى بهما آثار التشقق وأنا أغوص بهما فى الماء الكدر الذى يحمل الجراثيم الفتاكة ثم طلبت منه أن يخبرنى بمعيشته فقال إن نفسى لاتميل إلى صنوف الطعام والشراب كما هى عادة الحضر بل أكتفى بالقليل من الزاد والعيش على ماتخرجه أرضى من الحب والخضر وما تدره ماشيتى من اللبن وكثيرا ما أتحف السماء وأفترش الغبراء وأشعر من هذا كله بوخز فى الضمير ولكننى لا أهاب الصعاب تعترينى لأن المولى عز وجل وهب لى صحة جيدة فى هذا الفضاء الواسع إذ يهب على عليل النسيم فى كثير من الأوقات فيكسبنى لذة ونشاطا وبذلك تهش نفسى للعمل وتزول مصاعب اليوم حتى إذا طالعنا النهار بنوره كنت مجدد القوى تبدو على محياى أمارات النشاط فاستقبل اليوم من جديد أعمل فيه طول النهار ولا أرتاح إلا فترة الكزمة أو حين آوى إلى مضجعى .

تركت هذا المسكين ثم عوجت على القرية لاستشف حال أهلها فإذا هى جملة منازل صغيرة خالية من زينات المدن وبهجتها غير متناسبة فى أوضاعها وأشكالها وقد بنيت جميعها باللبن والعروش من عيدان الأذرة . والأكواخ الحقيرة الضيقة من فروع الأشجار وقد طليت بالطين ويحتوى كلا منها على خرف ضيقة لأبواب قليلة النوافذ وطيئة السقف حتى لاتسمح للرجل الكامل أن يقف بها معتدل القامة وهى غير صحيحة لأنها لم تتوافر فيها الشروط الصحية ولأنها حرمت الهواء النقى وضوء الشمس الساطع وعلاوة على ذلك أن حظيرة الماشية مجاورة لغرف النوم وكوعات روث البهائم تخرج منها رائحة كريهة لاتطيقها النفس ولا تصبر على احتمالها وفوق هذا وذاك لاتجد فيها وسائل الراحة عند المساء لما تسمعه فيها من أصوات الماشية المختلفة ونباح الكلاب التى تحرس المنازل وصوت الضفادع فى البرك ومجارى الأنهار وغير ذلك من الأصوات المقلقة عند ذلك شعرت باهمال من أولى الأمر ويصعب من جهة رقابة الحكومة التى تركت حبل الشؤون الصحية على غاربها وجعلت الفلاح الذى على كاهله تتوقف ثروة مصر الزراعية يشرب الماء الكدر الملوث بجراثيم البلهارسيا وغيرها من الأمراض الفتاكة ولم ترشده الى الطرق الصحية الواجب اتباعها حتى يسلم من شرها ولم تردم البرك والمستنقعات بل تركتها مرتعا للبعوض بنشر الملاريا بين الفلاحين ويسبب لهم الهلاك والدمار . الآن وقد دخلنا فى عهد جديد فانى أتفاءل خيرا من عهد الفاروق بأن تضع الحكومة المسئولة قوانين عادلة تفرض على كل مالك أن يمهد لمزارعيه حياة صحية صالحة بأن يشيد القرية الصالحة للسكن حسب نظام القرى النموذجية التى أعدتها وقد بادرت فى انشائها الجمعية الزراعية الملكية فلاقت كل نجاح وتوفيق ولم تزد تكاليف المنزل الواحد عن الخمسة والعشرين

من الجنينات . كذلك نود التبكير فى انشاء المدارس على اختلاف طبقاتها لتعليم صغار الفلاحين ولينفعوا البلاد فى المستقبل العاجل فعليهم تقوم حضارة مصر والمصريين والسرعة فى ايجاد مصارف المياه والعمل على ردم البرك والمستنقعات فتقل الأمراض ويسلم الفلاح من شرها ويجب مضاعفة المستشفيات بأنواعها لكى يعيش الفلاح عيشة انسانية تكفل له السعادة .

والواجب الأول يقضى على كل مصرى بتحسين حالة الفلاح وقريته المصرية .

٤ — مطلع الاصلاح :

المدرسة الالزامية ستطلب أبناء هذه القرية وبناتها منذ الحول السابع فهل هم أصحاء البصر والحواس أقوياء البنية وهل غذاؤهم موفور فى الدار أو فى المدرسة وهل يدخل جوفهم ماء يرويهم ويحييهم أم أدواء تصنيهم وتمتص دمهم وتشحب سحنهم هذا ماسنحاول معالجته فى الأبواب القادمة .

٥ — معلم القرية (هو رسول أمين أو غوى مبين) :

قبل أن نحاول أن نضع الشروط لاصلاح القرية المصرية من الوجه العام نبدأ فى اصلاح عقول أهلها بواسطة معلم القرية الذى هو الرسول فى تعليم صغارها فمنه يسمعون ولأمره يطيعون وبه يقتدون فان صلح شب النشء على مثاله ونسجوا على منواله وان حاد عن الطريق السوى فتح أمامهم طريق الغواية فكبكبوا فيها وهون عليهم سبل الضلالة فولجوها وأصبح أهل القرية بين ضال ومضل ومفتون ولا يجب أن ينظر معلم القرية الى مركزه المالى فيزن نفسه بميزان الخسف ويعيش على الدنيا صاخبا ولحظ نادبا ومن أعماله متبرما فيفسد عليه وجدانه ويصبح عدوا لأهل زمانه . لا أكون مغاليا اذا قلت أن مسئولية معلم القرية أخطر من مسئولية الوزير وأكبر من مسئولية شيخ الجامع الأزهر لأن الذى يتولى تهذيب النشء انما يتولى تكييف مستقبل الأمة بأجمعها فهذا اما يسيرها الى الشقاء أو الى السعادة فى مستقبل أيامها فلمعلم القرية أن ينظر الى أبناء القرية نظرة عطف واصلاح وانما سيحاسب عنهم أمام الديان فى اليوم الأخير اذ هم أمانة فى عنقه .

البقية فى العدد القادم

فضل جورجى